وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانيّة
قسم اللغة العربية

كتاب سيبويه والمُقتضَب للمُبرِّد

دراسة موازنة في منهج التأليف النحوي

أطروحة قدّمها

نوفل إسماعيل صالح

إلى مجلِس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها.

بإشراف

أ. م. د. غادة غازي عبد المجيد

1435هـ **2014 م**

أولًا : كِتاب سِيبَويه:

تقديم:

على الرغم من كَثرة الخِلافات بين الدارسين حول اثبات وجود مقدمة لكتاب سيبويه بين مُثبِت وغير مُثبت، وجبَ التّنبيه على أنّ مسارّ هذا البحث يتخطّى الخوض في هذه الخِلافات أو اعادة ما قِيلَ من كلامٍ حول هذه المسألة التي حُسِمَ الأمر فيها لصالح القائلين بوجود مُقدِمة.

وقد أشار الدّكتور كريم حسين ناصح الى ظُهور نوعين من المُقدمات النّحوية :

الأوّل: هو خُطبة المُؤلّف أو المُقدمة أو مقدمة الكِتاب، وهذه تكون طويلة أو قصيرة، وقد يشرح فيها المؤلف منهجه في تأليف كتابه، أو يطرحُ فيها موضوعًا صغيرًا، كما فعل الزّمخشريّ في المُفصّل، أو ابن هُشام في المُغني، إذ بيّن منهجهُ وقارنَه بمناهج الكُتب الأخرى، أو يوضّح السّبب الذي دعاه الى تأليف كتابه كما في مُقدِمة الايضاح العضدي أو (المُقدمة) لخلف الأحمر، أو مقدمة (كَشف المُشكِل في النّحو) لعليّ بن سليمان الحيدّرة اليَمني.[١]

أما النوع الآخر من المُقدمات فهو: المُقدمة النّحويّة على غِرار مُقدمة سيبويه في كِتابه، إذ يُمكِن أن نُطلَق عليها المُقدّمة النّحوية، أو مُقدِمة كتاب سيبويه، وفي هذه المقدمة . أو في هذا النوع من المُقدمات . يذكر فيها المؤلّف موضوعات نحويّة تُمهّد لموضوعات أبواب الكتاب الرئيسة، وتتناول تعريف الكلام والكلمة، ثم الاسم والفعلُ والحرفُ، وتبين المقصود بالإعراب والبناء وعلامات الإعراب الأصلية والفرعيّة، وقد تمتدّ أحيانًا لتشمل الإفراد والتّثنية والجمع بأنواعه، وذكر العوامل.[٢]

---

(١) ينظر: مناهج التأليف النحويّ من سيبويه الى ابن هشام:٣٠٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٣٠٣.

وأبرز ما يمكن ملاحظته من هذا الكلام هو أنّ أستاذنا الدكتور كريم حسين ناصح لم يُمثِّل على النوع الثّاني من هذه المقدمات، ولم يُشر إلى مقدمات أخرى شبيهة بما ذكره عن مُقدمة كتاب سيبويه، وهذا يعني أن مقدمة كتاب سيبويه هي من نوع خاصٍّ لا تُشبه المقدمات التي تشيع في مؤلفات النحويين.

وجرت أقلام الباحثين على اطلاق مصطلحات أو تسميات عدة على مقدمة الكتاب، وهي (المقدمة والرسالة والخطبة والدّيباجة).

فالمُقدمة: هي مِن قَدَّمَ بمعنى تقدّم، ومنه قولهم المُقدمة والنتيجة، وقد أستعير لكلّ شيء، فقيل: مقدِّمة الكتاب، ومقدِّمة الكلام، بكسر الدال، وقد تُفتَح، وقيل: مُقدِمةُ كُلّ شيءٍ أوّلُهُ.(١)

أما الرسالة فهي تحميلُ جُملةٍ من الكلام الى المقصود بالدّلالة، ثُمّ أُطلِقت على العباراتِ المؤلّفة والمعاني المُدونة، لما فيها من إيصال كلام المؤلِّف ومُرادِهِ الى المُؤَلَّفِ لهُ.(٢)

أمّا الخُطبةُ فَمِثلُ الرّسالة لها أوَّلٌ وآخرٌ(٣)، أو هي كلماتٌ تتضمَّنُ طلبَ شيءٍ.(٤)

أمّا الدّيباجة: فهي مِن دَبَجَ الشَّيءَ يَدْبُجُهُ دَبْجًا: نَقَّشَهُ وَزَيَّنَهُ. وديباجةُ الوجهِ: حُسْنُ بَشَرتِه. وديباجةُ الكتابِ فاتِحتُهُ، ويُقالُ لكلامهِ وشعرهِ وكتابتهِ : ديباجتُه حَسَنة: أسلوبٌ حسنٌ، والديباجتان: الخدّان، تقول: هو يصون ديباجتيه.(٥)

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٢٧٢/٧، قدم.
(٢) ينظر: الكليّات:٣٦٠ .
(٣) ينظر: لسان العرب: ١٣٧/٣، خطب.
(٤) ينظر: الكليّات:٣٩٠ .
(٥) ينظر: لسان العرب: ٢٨٤/٣ ، دبج.

وما يُمكنُ ملاحظته هو أنّ هذه المصطلحات تقاسمها القدماءُ والمحدثون في كلامهم، فأول من أطلق الرسالة من القدماء ـ حسب ما اطلعت عليه من مصادر ـ هو أبو القاسم الزّجاجيّ (ت ٣٣٧هـ)، إذ قال وهو يعرض أقسام الكلام العربي كما صنّفه سيبويه إلى اسم وفعلٍ وحرف: ((... لم نقصدْ له في هذا الكِتاب لأنّا قد شرحناه في كتاب شرح الرسالة بجميع ما فيه))[١]، فالزّجاجيّ يكتبُ كتابًا يشرحُ فيه الصّفحات الأولى من كِتاب سيبويه ويُطلِق عليها مصطلح (الرّسالة)، وأطلق عليه النّحاس (ت ٣٣٧هـ) مصطلحَ (ديباجة)[٢]، أمّا ابن جنّيّ (ت ٣٩٢هـ) فقد أطلق مصطلح (الخُطبة)، إذ قال : ((حُدود الكِتاب سبعةٌ وثلاثون بعد الخُطبة...))[٣].

أمّا المحدثون فقد اشتهرت المقدمة عندهم بمصطلح (المقدمة و الرسالة)، ولم أجد ـ في حدود اطلاعي ـ من المحدثين مَن أطلق مصطلح (الدّيباجة).

(١) الايضاح في علل النحو: ٤١.

(٢) ينظر: مقدمة الكِتاب في اللغة والاصطلاح: ٣٢٥، مجلة جذور، ج١١/ مجلد ٦، أيلول ٢٠٠٢.

(٣) الخاطريات: ٣٦.

ثانيًا: أبواب المُقدمة أو الرسالة في كتاب سيبويه:

حدّد الباحثون في كتاب سيبويه مقدمته بسبعة أبواب، وتُعدُّ هذه الأبواب السبعة المحورَ العام للكتاب، إذ تنعقد فيها روابط وظيفية غايةً في الأهميّة، تتجلى في مبدأ التكامل، فضلًا عن احتوائها مكوّناتٍ ثُلاثيّة، هي المكوّن المُعجَمي (القاعديّ)، والمكوّن العاملي، والمكوّن الدلاليّ[١].

إنّ من يتجاهل العلاقة بين المقدمة والكتاب، يعتقد أنّ أبواب الرّسالة بعضها يدخل في مجال فقه اللغة، وبعضها الآخر يدخل في مجال النّقد الأدبي والبلاغة، ويبدو أنّ عناصرها لا تخرج عن ميدان التركيب كما يفهمه سيبويه، فالرسالة مجموعة من المبادئ أو التنبيهات التي يشير إليها سيبويه احترازًا من الزلل في فهم كتابه، وهذه المبادئ يجب أن تبقى حاضرة دائمًا في ذهن الباحث في كتاب سيبويه؛ لأنّه مجموعة من العناصر يجب اعادة بنائها وفق نظرٍ خاصٍّ[٢]، على ما سيظهر.

وتتكون مقدمة الكتاب من الأبواب الآتية:

- باب علم ما الكلم من العربية.
- باب مجاري أواخر الكلم من العربية.
- باب المسند والمسند إليه.
- باب اللفظ للمعاني.

---

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه: د. دليلة مزوز، مجلة كليّة الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خضر، ع٧، ٢٠١٠.

(٢) ينظر: رسالة كتاب سيبويه: ٣٠٨، د. عبد الله الجهاد، مجلة جذور، مجلد ١، ج١، شباط ١٩٩٩.

– باب ما يكون في اللفظ من الاعراض.

– باب الاستقامة من الكلام والاحالة.

– باب ما يحتمل من الشعر.

هذه هي الأبواب السبعة التي عُدّت مقدمة أو رسالة لكتاب سيبويه، وهي أبواب قصيرة النّفَس، تميل الى الإجمال وكثرة الإحالات إلى مواضع آتية في الكتاب[١]، ففي الباب الأول قال سيبويه: ((وسترى ذلك ان شاء الله))[٢]، وقال في موضع آخر: ((وسوف يُبيّن ما لا ينصرف إن شاء الله))[٣]، وهي إحالة الى القسم الخاص به، وقال في الباب الرابع: ((وسترى ذلك إن شاء الله))[٤].

وفي باب الأعراض وهو الباب الخامس من مقدمته يقول: ((وسترى ذلك إن شاء الله))[٥]، وينُص في الباب الأخير على فكرة الإجمال لهذه الأبواب أو الباب الأخير فقط[٦]، إذ يقول: ((وما يجوزُ في الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا، لأنّ هذا موضوعُ جُمَل، وسنبين ذلك فيما نستقبل إن شاء الله ...)).[٧]

وأبرز ما يمكن ملاحظته هو اعتماده أسلوب الحوار بين المُتكلّم والمُخاطَب، مستفتحًا بعبارة (اعلم)، فضلًا عن الاحالات الى ابواب لاحقة كما مرّ.

---

(١) ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: ٤٧ .
(٢) الكتاب: ١/١٢.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٢.
(٤) المصدر نفسه:١/٢٤.
(٥) المصدر نفسه:١/٢٥.
(٦) ينظر: مفهوم الجملة عند سيبوبه: ٤٧ .
(٧) الكتاب: ١/٣٢.

وتُعدُّ هذه المقدمة أو الرسالة نظريّة أنموذجيّة نحويّة عربيّة أصيلة جمعت . من خلالها . بين التنظير والتطبيق إلّا أنّ التنظير فيها هو الغالب.[١]

إنّ المُتأمل في أبواب المُقدمة السبعة يمكن أن يلاحظ خصائص المنهج الوظيفي وهي الانتقال من الجزء الى الكل مع مراعاة مبدأ التكامل بين الأبواب، فأقسام الكلم حتى تنتظم إلى بعضها البعض لتشكيل جملة، لا بدّ من إجراء أعرابيّ يتمثّل في الحركات الإعرابيّة، فينعقد التّركيب بأكبر علاقة تأسيسيّة وهي الإسناد، إذ يتحوّل المجال للعلاقات الوظيفيّة التي يُشرف على تنظيمها العامل.[٢]

فالعامل هو الأساس الذي بنى عليه سيبويه كتابه، وجعله أساسًا لترتيب موضوعاته منذ المُقدمة[٣]، ومنهم مَن يرى أنّ الإسناد هو الأساس في ذلك.[٤]

وفيما يأتي وصفٌ لمضمونات أبواب المقدمة:

أولًا . باب ما الكلم من العربية:

هذا هو الباب الأول من أبواب مقدمة الكتاب، حدد فيه سيبويه أقسام الكلم إذ قال: ((الكَلِم: اسمٌ، وفعلٌ، وحرفٌ جاء لمعًى ليس بإسم ولا فعل)).[٥]

فمقاصد الكلام لا تخرج عن ثلاثة محاور، هي الإسم، والفعل، والحرف، ثمّ مثّل سيبويه للإسم دون أن يذكُر حدًّا له، بقوله ((فالإسم: رجل، وفرس، وحائط))[١]، وهي

---

(١) المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه: ٢.

(٢) ينظر: المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه: ٢.

(٣) ينظر: الدراسات اللغويّة والنّحويّة عند الزمخشريّ:٦٣، ٦٤، ومفهوم الجملة عند سيبويه: ٤٧.

(٤) ينظر: نظرية المعنى في كتاب سيبويه: ٣٠، رسالة ماجستير، اعداد : عماد زاهي ذيب نعامنة، اشراف: د. محمد كاظم البكّاء، جامعة مؤتة، كلية الآداب، ١٩٩٩م.

(٥) الكتاب:١/١٢.

وهي ثلاثُ مُسمياتٍ تدلُّ على ما في الكون من أشكال يُمكِنُ وصفها، وهي رجلٌ ، إنسان، وفرسٌ، حيوان، وحائطٌ، جماد،[٢] ويمكن تقسيم هذه الأشياء تقسيمًا آخرًا، وهو ما جاء للعاقل وغير العاقل.

وبعد ذلك يأتي القسم الثاني مِن أقسام الكَلِم وهو الفعل، ويُلاحظُ أن سيبويه يضعُ له حدًّا بقوله: ((وأمّا الفعل فامثلةٌ أُخِذتْ من لفظ أحداثٍ الأسماء، وبُنِيَتْ لماضٍ، ولِما يكون، ولم يقع، وما هو كائنٌ لم ينقطع)).[٣]

فالفعلُ يُشتقُّ من الإسم ويحتاجُ إليه في التّركيب لإنجاز الكلام، إذ يضيف إلى الحدث زمانًا ويوجهه ثلاث وجهاتٍ ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، وهو يجمعُ بين البناء والإعراب، إذ إنّهُ بُنية تجمع في وظيفتها بين خصائص الحرف من جهة البناء، وخصائص الإسم من جهة الإعراب.[٤]

ويظهر أن سيبويه جعل الفعل مُتأرجحًا بين البناءِ والإعراب، فهو يملكُ خصائص الحرف في البناء وهو الفعل الماضي، المبنيّ دائمًا، شأنهُ شأنَ الحروف، ويملك خصائص الإسم من حيث الإعراب وهو الفعل المضارع، ولكن يجب تحديد شبه الفعل بالأسماء المعربة، إذ إنّ منها ما هو مبنيّ، ثُمّ يوضّح سيبويه أن الحديث عن الأفعال وأبنيتها سيكونُ في أبوابٍ لاحقةٍ، وإنّ هذه الأفعال اشتقّت من الأحداث أي المصدر.

---

(١) الكتاب:١/١٢.
(٢) ينظر: المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه: ٤.
(٣) الكتاب:١/١٢.
(٤) ينظر: المنحى الوظيفي: ٤.

ثمّ يُمثِل للأحداث بقوله الأحداث نحوَ الضّرب والحمد والقتل[١]، وينهي حديثه عن الحرف، وهو القسيم الثالث للإسم والفعل، ويتركه دون حدّ ودون تصريح بإسمه (الحَرف)، وإنّما قال: ((وأما ما جاء لمعنى وليس بإسم ولا فعل فنحو: ثمَّ، وسوف، وواو القسم، ولام الإضافة ونحوها)).[٢]

وقد اراد أحد الباحثين المعاصرين التنبيه على أنّ القسم الثالث من أقسام الكَلِم يُريد بهِ سيبويه غيرَ ما هو مُتعارُفٌ عليه، وأنّ لفظة (حرفٍ) ليست مُستعملة استعمالًا اصطلاحيًا، إنّما استعملها سيبويه بالمعنى العام الشائع في زمانه، وهو معنى (كلمة)؛ ويتضّح هذا من تأكيده في الحديث عن الحروف دائمًا بعبارات مثل الحروف التي ليست بأسماء، ولا أفعال، ولم تجيء لِمعنى، فلو كانت كلمة (حرف) اكتسبت قبله معنًى اصطلاحيًّا لَما احتاج الى هذا التّفسير، نؤكّد هذه المسألة حذرًا من اختلاف معاني الكلمة الواحدة عبر العصور.[٣]

إنّ ما نبّه عليه الباحث هو ما كان يشغلُ بال سيبويه، ولهذا وضع قيودًا للحرف الذي هو قسيم الاسم والفعل، فقول سيبويه ((وحرفٌ جاء لمعنى ليس بأسم ولا فعل))[٤]، تأكيد منه أنّ هناك أربعة أنواعٍ من الحروف:

أ. حرفٌ خالٍ من المعنى وليس بإسم ولا فعل، وهو ما يُطلِق عليه سيبويه لفظة (الحرف)[٥]، وسُمِّيَ . فيما بعد . عند النُحاة بحروف المُعجَم.

ب.حرفٌ له معنى لكنّه اسمٌ، كإطلاق (ثُمّ) اسمًا على شخصٍ ما، كأنّ نجد مُتكلّمًا

---

(١) ينظر: الكتاب:١/١٢٢.
(٢) المصدر نفسه:١/١٢.
(٣) ينظر: رسالة كتاب سيبويه:٣٠٩.
(٤) الكتاب:١/١٢.
(٥) ينظر: الكِتاب: ٤/٤٣١.

يَكثُرُ في كلامهِ (ثمّ) فيحسبُهُ النّاس (ثم)، فيُقالُ جاء ثُمّ، وسافرَ ثُمّ، ... .

ج. حرفٌ له معنًى، ولكنّه فعل، مثل الفعل (قِ) من (وقى) و (عِ) من (وعى).

د. حرفٌ له معنى وليس بأسم ولا فعلٍ، وهو ما مَثَّلَ لهُ سيبويه، بـ (ثُمّ) و (سوف)، وواو القسم، ولام الإضافة[١]، وهو ما أطلق عليه النُحاة . فيما بعد . حروفَ المعاني.[٢]

فالتّقسيم الذي قسّمهُ سيبويه للكَلِم كان واضح المعالم في إثنين منه وهما (الإسم والفعل)، أمّا الآخر فهو (الحَرف)، فلا تتحدّد معالِمهُ إلّا مع غيره[٣]؛ لذلك ربط النحويون . في هذا السّياق ((بين الاختصاص والعَمل، وجعلوا من شرط الحروف التي تعمل أن تكونَ مُختصّة. فالّتي تختصّ بالأفعال مثل (لم) و(لَن) و (لمّا) تعمل فيها، والّتي تختصّ بالأسماء كأحرف الجر تعمل فيها، وما لا يختصّ كالواو والفاء فلا يعمل)).[٤]

فالحرف يُقاسمُ الأسماء والأفعال في البناء، بحيث تكون ((الأنواع الثلاثة أقواسًا ثلاثة متداخلة، تملأ دائرة الحيّز اللغوي، وترسم التّشابُك القائم بين المجاري الثمانية، على الرغم من أصالة الإسم في الإعراب، والحرف في البناء، وتوَزُّعُ الفعل بينهما)).[٥]

---

(١) ينظر: الكِتاب:١/١٢.

(٢) ينظر: الرسالة في كتاب سيبويه: ٣١٠.

(٣) ينظر: منهج الاستبدال النحوي في كتاب سيبويه دراسة وتحليل:٦، د. لطيفة حاتم عبد الصاحب الزّاملي، مجلة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربويّة، المجلد ١١، العدد ٢، سنة ٢٠١٢م.

(٤) نظريّة النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: ٣٤.

(٥) تحليل النص النحوي:٨٥.

ثانيًا . باب مجاري أواخر الكَلِم من العربية[١]

هذا الباب الثاني من أبواب مقدمة كتاب سيبويه، وهو أطول أبواب مقدمته، فصّل القولَ فيه عن علامات الإعراب، ودخولها في الأسماء والأفعال، وعددها، وتحدّث عن البناء في الحروف التي ليست إلا لمعنى، وليست بأسماء ولا أفعال نحو: سوف، وثُمّ.[٢]

ثُم تحدّثَ عن التّثنية والجمع في الأسماء والأفعال، وكذلك عن إلحاق التّأنيث في المُخاطبة، وعن علاقة جمع المؤنّث في المضارع.[٣]

ثمّ عرضَ لِمسألة الخفّة والثّقل في الأسماء والأفعال، وأوضحَ أنّ الأفعال أثقل من الأسماء، لأنّ الأسماءَ هي الأولى، وهيَ أشدُّ تَمَكُنًا، والأفعال لم يلحقها تنوينٌ ولحِقها الجَزم، والسُكون وإنّما هذه من الأسماء[٤]، أي أنّ الاسم هو الأصل في الاشتقاق والأفعال إنّما هي مشتقة منه.

ثمّ يُبيّنُ حاجة الفِعل إلى الإسم، وإنّ الإسم قد يستغني عن الفعل، إذ قال: ((ألا ترى أن الفعلَ لابدّ له من الإسم، وإلّا لَم يكُن كلامًا، والإسمُ قد يستغني عن الفِعل، تقول: اللهُ إلهنا، وعبدُ اللهِ أخونا))[٥]، وهُنا يُشيرُ إلى نوعي الجُملة الفعليّة والإسميّة، إلّا أنّهُ لم يُمثّل للفعليّة واكتفى بالتمثيل بالإسمية.

ومن جُملة ما تحدّث عنهُ في هذا الباب هو مُضارعة الإسم للفعل، وإنّ الإسمَ إذا وافق الفِعلَ في البِناء كان ذلك مُستثقلًا في كلامِهم، نحو، أبيض وأسود و أحمر، وهو

---

(١) ينظر: الكِتاب:١٣/١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٧/١.
(٣) المصدر نفسه: ٢٠/١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/١، ٢١.
(٥) المصدر نفسه: ٢١/١.

بناءُ أَذْهَبُ وأَعْلَمُ فهو في موضع الجرّ مفتوحًا[١]، وهو في هذا يُشيرُ إلى أنّ ما كان على وزنِ (أفعل) فهو ممنوعٌ من الصّرف لأنّهُ على وزنِ الفعلِ المُضارع.

أمّا إذا كان هذا الوزن (أفعل) إسمًا كان أخفّ عليهم، وذلك نحو، أفكَل و أكلُب فهُما ينصرفان في النّكرة.[٢]

ثمّ تحدّثَ عن الخفّة والثّقلِ في النكرة والمعرفة، وأنّ النّكرة أخفُّ عليهم من المعرفة، لأنّ النّكرة أقلّ، ثمّ يدخلُ عليها ما تتعرفُ به.

ويسترسلُ في بيانٍ مواطن الخفّة والثّقل في الأسماء، ليُشير إلى أنّ الواحد أشدُّ تمكّنًا مِن الجَميع، لأنّهُ أوّل وأنّهم لم يصرِفوا ما جاء من الجميع، نحوَ مَساجِدَ ومفَاتِيحَ.[٣]

ويُشيرُ أيضًا إلى ما يتّصل بالتّذكير والتّأنيث، وأنّ المُذكّر أخفّ من المؤنّث لأنّ المُذكرَ أوّلٌ وهو أشدُّ تمكّنًا، وأنّ التّأنيث يخرُجُ من التّذكير؛ لأنّ (الشّيء) يقعُ على المُذكّر والمؤنّث، والشّيءُ ذكر، وأنّ التّنوينَ علامةٌ للأمكن والأخفّ، ثُمّ يختمَ حديثَهُ عمّا ينصرف وما لا ينصرف بالإحالة عليه في مكان آخر بقوله، وسوفَ يُبيّن ما ينصرفُ وما لا ينصرف إنْ شاء الله.[٤]

ثمّ ختمَ حديثهُ في هذا الباب عن الفعل المُعتلّ الآخر، وأنّه يُحذفُ حرفُهُ الأخير في الجزم نحو: لَم يَرمِ، ولَم يَغُز، ولم يَخْشَ، وهو في الرّفعِ ساكنٌ نحو: هو يرمي، ويغزو، ويخشى.[٥]

---

(١) ينظر: الكتاب:٢١/١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه:٢٢/١.
(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٤) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥) ينظر: المصدر نفسه:٢٣/١.

فما تقدّم عرضٌ موجزٌ لِما جاء في الباب الثّاني من أبواب مقدمة الكِتاب، وبِما أنّ ما جاء فِيها يُعدُّ أبرز الظواهر التي هيمنت على العربيّة وهي نظرية العامل، لذا لا أريد تَكرار ما قِيلَ عنها إذ اجزَلَ القول في ذلك وما يتّصل بها الدكتور حسن الأسدي.(١)

ومن بين القضايا التي طرحها سيبويه في هذا الباب فضلًا عن نظريّة العامل، قضيّة البناء والإعراب أو علامات الإعراب، أي المجاري الإعرابيّة وهي آثار العوامل.

قال السيرافيّ (ت٣٨٦هـ): ((اعلم أن سيبويه لقّب الحركات والسّكون في هذه الألقاب الثمانية . وإن كانت في الصّورة أربعًا. ليُفرّق بين المبني الذي لا يزول، وبين المُعرب الذي يزول . وإنّما أراد بالمُخالفة بين تقليب ما يزول وما لا يزول إبانة الفرق بينهما، لأنّ في ذلك فائدة جسيمة تقريبًا وإيجازًا، لانّه متى قال: هذا الإسمُ مرفوعٌ، أو منصوبٌ، أو مخفوضٌ، عُلِمَ بهذا اللفظ أن عاملًا عَمِلَ فيه يجوز زواله، ودخول عامل آخر يُحدث خلافَ عمله، فيكتفي بـ (مرفوع) عن أن تقول: هذه ضمّة تزول، أو تقول: محلٌ فيه عاملٌ فرفعه، ففي هذا حكمةٌ وإيجازٌ فاعرفه، فإنّ كثيرًا من النّحويين الكوفيين يُخالفونه، ويسمون الضمّة اللازمة رفعًا، وقد عرّفتُكَ وجهَ الحكمة في تسمية هذا رفعًا)).(٢)

وقد أُثيرت مسألةٌ تتعلّقُ بإطلاق سيبويه مُصطلح (المجرى) بدل الـ (الحركة) وأنّهُ لم يُفرّق بينهما.

فمُصطلح (المجرى) ظهرَ في كتاب سيبويه، ولم يُستعملُ بعدهُ إلّا نادرًا، ويرجعُ السّبب في إهماله إلى التّأويل الضّيق الذي أسند إليه(٣)، يقول الأخفش (ت ٢١٥هـ):

---

(١) ينظر: مفهوم الجُملة عند سيبويه: ٤٧-٤٩.

(٢) شرح كتاب سيبويه: ٢١/١، ٢٢.

(٣) ينظر: رسالة كتاب سيبويه: ٣١١.

((والمجرى في الشعر حركةَ حرف الرّوي فتحتُهُ وضمّتهُ وكسرتُهٌ، وليس الرّوي المُقيّد مجرى لأنّه لا حركة فيه فتُسمّى مجرى)).[١]

فالمجرى مصطلحٌ عروضيٌّ أساسًا، وليس مصطلحًا نحويًا، لكنّ سيبويه استعار هذا المصطلح واستعمله في هذا الباب، فقال : ((وهي تجري على ثمانية مجارٍ على النّصب والجرّ والرّفعِ والجزمِ والفتحِ والضّم والكسر والوقف)).[٢]، ومن يُطبّق المُصطلح العروضي على ما قاله سيبويه يرى أنّهُ يجعل الجزم والوقف حركة، والجزم والوقف . كما هو معلوم . إنعدام الحركة، فكيف يغفل سيبويه عن التّدقيق والتّحقيق؟[٣]

إنّ سيبويه يُفرّق بين المجرى والحركة، فالمجرى علامةٌ في آخر الكلمة تكون بالحركة أو بغيرها، فهو مُرتبِطٌ بالتركيب المُكوّن في نظر سيبويه من عوامل ومعمولات، على عكس الحركة فهي غير مُرتبطة بالتّركيب، وإنّما علاقتها بالحرف فقط، سواء أكان في حشو الكلمة، أم في آخرها، أم في بدايتها، ولن تكون الحركة إلّا فتحة أو كسرة أو ضمّة.[٤]

وفي صدد ذلك يقول سيبويه: ((وزعمَ الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضّمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلّم به، والبناء هو السّاكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضّمة من الواو)).[٥]

كيف يعلم سيبويه قول الخليل . رحمه الله . ويجعل السكون والوقف حركة؟ وعندما يتحدّث عن حشو الكلمة يستعمل مصطلح (حركة).[١]

---

(١) القوافي: ٣٢.
(٢) الكتاب: ١٣/١.
(٣) ينظر: رسالة كتاب سيبويه:٣١١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٥) الكتاب:٢٤٢/٤ – ٢٤٣.

فضلًا عن ذلك فإنّ سيبويه كان عارفًا لما يدُلُّ عليه مصطلح (المجرى)، فهو لم يقصر الجاري على الحركات فقط، كما قصر العروضيون المجرى على قافية حركة حرف الرّوي دون سكونه، لكنّ غرضَ صاحب الكِتاب في قوله : ((مجاري أواخر الكلم)) أي: أحوال أواخر الكلِم وأحكامه، والصّور التي تتشكّل لها، فإذا كانت أحوالًا وأحكامًا فسكونُ الساكن حالٌ له، كما أنّ حركة المُتحرّك حالٌ له أيضًا، فمن هنا سقط تعقّب من تتبّعه في هذا الموضع.(٢)

وأستطيعُ ـ فضلًا عما تقدم ـ إضافة دليلٍ آخر يؤيّد إدراك سيبويه لما أطلق عليه وهو أنّه استعمل (المجرى) في بعض أبواب كتابه، إذ قال: ((هذا باب ما جرى في الإستفهام من أسماء الفاعِلين والمفعُولين مجرى الفعل كما يجري في غيره مجرى الفعل)).(٣)

وتتفرّع المجاري الثمانية لتُشكّل نماذج تركيبيّة متناسقة، فالضّم والفتح والكسر علامات للحُروف، وبعضِ الأسماء والأفعال، والنّصب والرّفع والجرّ جاريات في الأسماء وهي علامتها، وعلى الرّغم من تشابكها وتفرّعها فهي تنتظم في وظائفَ لتُحقق هدفًا واحدًا هو قصد المتكلّم.(٤)

ووقع اللّبس في فهم قصد سيبويه من قوله (ثمانية مجارٍ) من قِبل أحد الباحثين المُعاصرين، إذ قال: ((ويجدُرُ بنا في سياق الحديث عن الحركات أن ننقل عن سيبويه قوله بأنّ الحركات في العربية ثمانية وهي الضّم والرّفع والفتحُ والنّصبُ والخفض

(١) ينظر: الكتاب: ٣٤٠/٤.
(٢) ينظر: لسان العرب: جريًا:١١٣/٢.
(٣) الكتاب: ١٠٨/١، ١٤٥، ١٥٨، ٣١٤، ٣٤٣.
(٤) ينظر: المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه: ٥.

والجّر والسّكون والوقف ...))[١]، وهذا مُخالف لما قاله سيبويه.

فالمجاري الثمانية ـ في نظر سيبويه ـ هي ثمانية على المستوى النظريّ، ولكنّها أربعة على المستوى الصّوتي.[٢]

والنّاظر في نصّ سيبويه يلمحُ ذلك من قولِهِ: ((وهذه المجاري الثّمانيّة يجمعهنّ في الفظ أربعة أضربٍ فالنّصب والفتح في اللفظ ضربٌ واحدٌ، والجرّ والكسرُ في ضربٍ واحد، وكذلك الرفع والضّم والجزم والوقف)).[٣]

فالحركات الإعرابيّة إجراء شكليّ وظيفيّ، فهي تثبّت المعنى وتراقبه في البنية التركيبية، وتنظّم هندسة الكلِم من وصل وفصلٍ وتمامٍ ونقصانٍ، إذ إنّها الحد الفاصل بين المبنيّات والمُعربات، وهي . أيضًا . تمييز بين التّراكيب اللازمة والمتعدّية التي تسير نحو التّوسّع واسترسال المعنى، فهي نظام شكليّ شديد الاختزال، ولكنها . في ذات الوقت . أبعاد تجريبيّة مُوغِلة في الاسترسال، فجعل سيبويه لهذه الحركات ثمانية مجارٍ هو عملٌ في غاية الدّقة، وفيه إيحاء بالوظيفية، إذ إن المعاني اللامتناهية محصورة في هذه الحركات المنتهية، وهي ترجع الى باب العامل الذي تعملُ في إطاره.[٤]

فالعلاقة بين العامل والحركة . حركة تأثير أو تغيير. التي توحي بأنّ الوحدة الوظيفيّة منقولة عن وظيفتها، والمبدأ هنا مبدأ طبعي ثنائيّة الثابت والمتحوّل، فالمُعرب متغيّر في وظيفته، وتتغيّر بذلك حركته، أمّا المبني فإنّ الأمر يختلف فيه حـــتى وإن

(١) المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي؛ عبد الرحمن أيوب: ١٧. نقلًا عن الرسالة في كتاب سيبوية:٣١٣، عبد الله الجهاد.

(٢) ينظر: الرسالة كتاب سيبويه:٣١٢.

(٣) الكتاب: ١٣/١.

(٤) ينظر: المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه:٥.

تغيّرت الوظيفة فالحركة ثابتة معه.[١]

فاللغة العربية ((من اللغات التي يتحتّم فيها التمييز بين الحالة الإعرابيّة والعلامة الإعرابية، بين الرفع والضّم وبين النّصب والفتح والجرّ والكَسر، وما يفرض هذا التمييز أنّ الحالة الإعرابيّة لا تتحقّق دائمًا في شكل العلامة الإعرابية المُتوقّعة (جمع المؤنّث السالم في حالة النّصب) ولإنها لا تحقق إطلاقًا (كما هو الشّأن فيما يُسمى الإسم المقصور))).[٢]

فالتّقسيم الثنائي الذي أكد سيبويه عليه جاء مطابقًا للوظيفة التي أقرّت بنوعين من الإعراب هما: الإعراب الوظيفيّ والإعراب التقديري.[٣]

فالإعراب في نظر سيبويه إرتبط بالوظائف الدلالية، فالعُنصر الوظيفي يأخذُ إعرابه بالنّظر إلى وظيفته لا إلى موقعه، فالوظيفة الإعرابيّة مرّت بمرحلة تشكُّل، تنطلق من النوايا الكامنة في نفس المُتكلّم، فتدور حلقات التأليف والتحليل من أصغر الأشكال إلى أكبرها، ومن المركب المقطعيّ إلى المركّب الإسنادي، وتنقُّل وجوه النواة من المتكلّم إلى كلامه، ومن كلامه الى مفرداته وكلماته وحروفه وحركاته، وتتولّد النواة من الكلام مختزلة مكرّرة في نفس الوقت.[٤]

فالعلامة الإعرابيّة تُشكّلُ ممرًّا للتحليل النّحويّ للجُملة، لذلك نجد سيبويه في تحليله النّحويّ لا يتوقّف عندها كثيرًا بأزاء ما أراد إيضاحه من قضايا نحويّة تتعلّق بالجُملة.[٥]

---

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه:٦.

(٢) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد: أحمد المُتوكّل:٩٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:٩٨.

(٤) ينظر: مظاهر من الاختزال والتكرار في النظام النحوي: ٢١، مقال في مجلة دراسات لسانية: م٤، ٢٠٠٢م. المنصف عاشور.

(٥) ينظر: التمثيل النحوي في كتاب سيبويه: ٩١، رسالة ماجستير ، علاء عمار محمد، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٧.

هذا عرض موجز وسريع لأبرز ما جاء في القسم الأوّل من أقسام مقدمة كتاب سيبويه الذي ينتهي قسمها الأوّل بباب (مجاري أواخر الكلم)، ويبدأ القسم الثّاني من باب (المُسند والمُسند إليه إلى باب ما يحتمل الشعر).[١]

ثالثًا ـ باب المسند والمسند إليه:

يقول سيبويه في هذا الباب: ((وهُما ما لا يُغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجِدُ المُتكلّمُ منه بُدًّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك)) [٢].

وأبرز ما يُمكن ملاحظته في هذا الباب هو أنّ سيبويه لم يُبيّن موضع المُسنَد وموضع المُسنَد إليه، وإنّما اكتفى بالعنوان وتقديم الأمثلة، التي بدأها بالجملة الإسمية ثمّ الفعلية بقوله: (يذهب عبد الله)، ثُمّ بين أنّه لا بُدّ للفعل من الإسم، كما لا بُدّ للإسم الأوّل من إسم آخر في الإبتداء.

ثُمّ تحدّث عمّا أصلهُ مُبتدأ وهو بمنزلته، وذلك نحو: كان عبد الله مُنطلِقًا، وليتَ زيدًا مُنطلقٌ، ثُمّ يذكُر أنّ أول أحوال الإسم هو الإبتداء، ثُمّ تدخُل عليه العوامل اللفظية فيزول عنه الإبتداء، ولا يكون مبتدأً حتى يتجرد مما دخل عليه، وذلك نحو: عبد الله منطلقٌ، فإذا دخلت عليه (رأى) قيل: رأيتُ عبد الله منطلقًا، أو قلت: كانَ عبدُ الله مُنطلقًا، أو مررتُ بعبدِ اللهِ مُنطلِقًا، فالمُبتدأ أولُ جُزء.[٣]

وعلى الرّغم من أن سيبويه لم يُحدّد المُسند والمُسند إليه . كما ذكر . إلّا أنّه وضّح ذلك بالأمثلة التي ساقها وهي الجملة الإسميّة والجملة الفعليّة.

---

(١) ينظر: الدلالة النحوية في كتاب سيبويه: ٤٨/١.
(٢) الكتاب:٢٣/١.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤/١.

المستخلص

هذه الرسالة بعنوان (كتاب سيبويه والمقتضب للمُبرِّد دراسة موازنة في منهج التأليف النحوي)، فكتاب سيبويه يُعدّ الموسوعة العلمية الأولى في اللغة العربية والنحو، ذلك العالم الذي تتلمذ على يدي نخبة من العلماء، كالخليل، ويونس، قد نضج نضج النحو، واحترف على يديه حتّى قيل أنّ آالف الكتب التي ألّفت في اللغة والنحو هي بمجملها ترديد لما قاله سيبويه، فهو إمام مدرسة البصرة، وإمام النحو (ت180هـ)، وحسبي أن أقول في كتابه أنّ النحاة أسموه (قرآن النحو).

أما المقتضب فالموسوعة الثانية لنحو البصرة، ألفه المبرّد (ت 285هـ)، صاحب التصانيف العجيبة، فهو الأديب اللغوي النحويّ النسابة، ولا تقلّ قيمة المقتضب عن كتاب سيبويه، لذلك قامت الدراسة على المقارنة والتحليل بين هاتين الموسوعتين، فأخذت بنظر الاعتبار دراسة أسلوب كل منهما، وتبين أنّ أسلوبهما اتّسم بالسهولة والسلاسة، في أغلب موضوعاتهما، كما اخذت الدراسة بنظر الإعتبار ترتيب الأبواب لكل كتاب، وقد وجدت أنّ لكل منهما طريقته الخاصة في التبويب، ثمّ تناولت الدراسة مقدمة الكتابين، وحللت ما جاء فيها، ثمّ قام الباحث بتضمين شيئًا من نصوص الكتابين في الدراسة، ليخلص بعدها إلى ذكر الفروق الأسلوبية، ولمعرفة مضمون كل باب، وبعد ذلك كلّه خلصت الدراسة إلى ضرورة اعتماد كتاب سيبويه مصدرًا أولًا في

الدراسة الجامعية لطلبة اللغة ، لأنّه يمثّل قمة النضوج النحوي، وأن كتاب المبرد رغم قيمته العلمية فإنّه لم يحض بالعناية التي حضي بها كتاب سيبويه، وذلك لطغيانه عليه، ولأنّ الفضل للمتقدم.

وأخيرًا يمكن القول بلا تردد، ومنذ أن ألّف سيبويه كتابه إلى يومنا هذا، لم تولد دراسة في اللغة والنحو، ولا مؤلّف فيها، إلّا كان كتاب سيبويه والمقتضب معتمدها الأول.

Abstract

This message titled (Al-Kitab of Sibawayh and Al-Muqtadhab of Al-Mubarrid, A balance Study in the Curriculum Authoring Grammar), Victab Sibawayh is a scientific encyclopedia first in the Arabic language, grammar, so the world who schooled at the hands of a select group of scientists, as Al-Khalil, and Younis, had matured maturity of the way, and turn professional on his hands until it was said that the thousands of books written in the language, as is the whole repeating what was said Sibawayh, he is the Imam of Basra School, and as an imam (D 180 AH), and suffices to say in his book that they called grammarians (as the Koran).

Al-Muqtadhab is the Encyclopedia second toward Basra, written by the radiator (d 285 AH), the owner of classifications curiosities, he is the writer of linguistic grammar Alnsabh, and not less than the value of the brief for Al-Kitab of Sibawayh, so the study on the comparison and analysis between the two Amoosootain, I took into consideration the study method, each, it turns out that their style was characterized by easy and smooth, for the most Modoathma, also took the study into consideration the order of the doors of each book, I have found that each has his own way in the tab, and then dealt with the study Introduction books, and analyzed what came in, then the researcher include anything from text books in the study, to conclude after the

stated differences are stylistic, and to know the content of each door, and then the whole study concluded the need to adopt a book Sibawayh source first in undergraduate study for students of the language, because it represents the peak of ripeness grammar, and that the book coolant despite its scientific value, it did not exhorts care that DAI Sibawayh her book, and so it tyranny, and because the credit of the applicant.

Finally, we can say without hesitation, and since that Sibawayh A book to this day, did not generate the study of language, grammar, nor the author, but the book was Sibawayh and brief Matmayora first.

Researcher